مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 144-162
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

كتب البلدان والمسالك والممالك مصادر أولية لدراسة تاريخ مدينة تيهرت خلال العصر الوسيط

Books of countries, roads and kingdoms: primary sources for studying the history of the town of Tahert in the Middle Age

خديجة بورملة[1]♦

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر، khadidja.bouramla@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/10/30 تاريخ القبول: 2021/12/10 تاريخ النشر:2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

يهدف هذا المقال إلى التعريف بمدينة تيهرت خلال العصر الوسيط، ودراسة تاريخها الحضاري من خلال نوعية محددة من المصادر التاريخية ألا وهي كتب البلدان والمسالك والممالك، حيث تعتبر هذه الأخيرة كمصادر أولية لدراسة تاريخ بلاد المغرب الإسلامي عموما وتاريخ مدينة تيهرت على وجه الخصوص، وذلك لما تحويه من مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية باعتبار أن أصحابها قد ركزوا اهتمامهم على دراسة المدن والأقاليم الإسلامية خلال القرون الأولى من الفترة الوسيطية، حيث نجد بهذه المصادر أوصافا لها ارتباط بالجوانب الطبيعية والجغرافية والعمرانية، كما نجد بها نصوصا عن الأوضاع الاقتصادية وحتى السياسية لمدينة تيهرت.

فالمعروف عن تاريخ هذه المدينة خلال العصر الوسيط هو ارتباطه الوثيق بنشأة وقيام الدولة الرستمية، واتخاذ هذه الأخيرة لمدينة تيهرت عاصمة لها، لتتحول خلال هذه الفترة والفترات اللاحقة إلى إحدى أهم مدن وعواصم بلاد المغرب الإسلامي، غير أن هذا الاختيار وهذه الأهمية التي اكتسبتها المدينة تعود كذلك إلى أهمية موقعها الجغرافي الاستراتيجي، حيث أسهبت المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك في التأكيد على أهمية هذا الموقع، ورصد مجموعة من النصوص تصف من خلالها المدينة من الناحية الطبيعية والجغرافية، كما أسهبت في وصف الوضع الإقتصادي لها، وخصوصا الجانب الفلاحي عن طريق إحصاء المنتجات الفلاحية والحيوانية، هذا إضافة إلى ما نجده من معطيات تتعلق بالمظاهر العمرانية على اختلاف أنواعها.

الكلمات المفتاحية: تيهرت؛ كتب البلدان؛ المسالك والممالك؛ العصر الوسيط؛ الدولة الرستمية.

♦ المؤلف المرسل

Abstract: This article aims to present the city of Tahert in the Middle Age, and to study its civilizational history through a specific type of historical sources, are the books of countries, roadsand kingdoms, where the latter are considered to be primary sources for the study of the history of the Islamic Maghreb in general and the history of the city of Tahert in particular, for that it contains historical material of great importance, given that its authors have focused their attention on the study of Islamic cities and regions during the first centuries of medieval times, where one finds in these sources descriptions related to natural, geographical and urban aspects, as well as texts on economic and even political conditions from the town of Tahert.

What we know about the history of this city in the Middle Age is its close link with the emergence and establishment of the Rustomide State, and the latter taking the city of Tahert as its capital, to transform during this period and the following periods to one of the most important cities and capitals of the Islamic Maghreb, but this choice and the importance that the city has acquired due to the importance of its strategic geographical location, where the sources of the country and the books of roads and kingdoms elaborated on the importance of this site, and followed a set of texts describing the city from a natural and geographical point of view, and also elaborated on the description of the economic situation of the city, especially the agricultural side by counting agricultural and animal products. we find data relating to the different types of Urban characteristics.

Keywords: Tahert;the books of countries; roadsand kingdoms; middle age;Rustomide state.

مقدمة:

كان لاتساع رقعة العالم الإسلامي على إثر حركة الفتوحات الاسلامية، أثره في اهتمام العرب بشؤون البلدان والدول والشعوب التي انضوت تحت رايتهم، وهو ما دفع الخلفاء والحكام إلى إيفاد مبعوثين وسفراء إلى البلاد الإسلامية المختلفة لدراسة أحوالها والتعرف على طبائع السكان وبيان الطرق والمسالك المؤدية إليها، ومعرفة البلاد التي فتحت صلحا أو عنوة أو أمانا لتحديد نوع ومقدار الخراج الواجب فرضه، هذا إلى جانب الاهتمام بتعيين محطات القوافل على طريق الحج والتجارة.

كل هذه المعلومات التي بدأت تتجمع شيئا فشيئا أدت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى ظهور نوع من الكتابات له ارتباط بعلم الجغرافيا، وهو ما أصبح يعرف بالمصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك، وهي كتب اهتم أصحابها بالنهوض بالتراث الجغرافي الوصفي، من خلال الاعتماد على الرحلة إلى ديار الإسلام وجمع المعلومات وتدوين المشاهدات والملاحظات المباشرة عن كل ما يتعلق بتلك البلدان في مصادر وصفية تميزت بدقتها واختلاف طبيعة مادتها ومنهجها عن المصادر التاريخية التقليدية.

ولذلك نجد لدى أصحاب هذه المصادر اهتمام بتسجيل الأوصاف الطبيعية والجغرافية كالتضاريس والأنهار والبحار والمناخ، ودراسة الأوضاع الاقتصادية من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحرفية والمبادلات التجارية والطرق والمكاييل والأوزان والعملات والأسعار، هذا إضافة إلى دراسة الخصائص الجسدية والذهنية للسكان وعاداتهم وتقاليدهم، كما نجد بهذا النوع من الكتب نبذا عن الحياة السياسية والدينية من خلال دراسة الكيانات السياسية والمدارس الدينية أو الفقهية.

والمطلع على هذه المصادر يجدها قد خصصت حيزا هاما للتعريف ببلاد المغرب الإسلامي عامة وبمدينة تيهرت على وجه الخصوص، وعليه فإن موضوع " كتب البلدان والمسالك والممالك مصادر أولية لدراسة تاريخ مدينة تيهرت خلال العصر الوسيط" هو محاولة للتعرف على ما حظيت به هذه المدينة من اهتمام البلدانيين والجغرافيين العرب والمسلمين، وما هي الأوصاف التي وضعتها لها، وما هي الجوانب التي ركزت عليها، أو أغفلتها، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد على المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك في كتابة التاريخ الحضاري لمدينة تيهرت وضواحيها خلال العصر الوسيط ؟

وهو ما يسعى هذا المقال إلى الإجابة عنه، وذلك بواسطة اتباع المنهج الوصفي باستخراج النصوص المصدرية التي لها علاقة بأوصاف مدينة تيهرت خلال القرون الأولى من العصر الوسيط، وذلك باعتبار أن المصادر محل الدراسة تعود إلى هذه الفترة، وأن منهجها هو منهج الجغرافيا الوصفية الذي سيتم الحديث عنه لاحقا.

وعليه سيتم التركيز في هذا العمل على مجموعة أساسية من المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك، التي نجد بها أوصافا لمدينة تيهرت، قد تطول أو تقصر تبعا للمادة التاريخية والجغرافية التي تجمعت لدى أصحابها، ومن هذه الكتب نذكر: كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت سنة 272هـ/885 م)، كتاب البلدان لليعقوبي (ت سنة 284 هـ/897م)، مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (القرن 03 هـ/10م)، مسالك الممالك للاصطخري (ت بعد 340 هـ/951م)، كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت سنة 367هـ /977 م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت سنة 390 هـ/1000م)، المسالك والممالك للبكري (ت سنة 487 هـ/1094م).

1- المصنفات البلدانية وكتب المسالك والممالك:

مثلت المصنفات البلدانية أو كتب المسالك والممالك بأنواعها المتعددة الأساس الذي قامت عليه كتب الجغرافيا العربية، حيث اتخذ أصحابها أسلوب المشاهدة والمعاينة والدراسة الشخصية للبلدان والأقاليم التي كتبوا عنها، متبعين في ذلك المنهج الوصفي [1] أو منهج الجغرافيا الوصفية الذي قال عنه كراتشوفسكي: « هو الذي يسترعي النظر بغزارة مادته وهو الذي يغلب على الأدب الجغرافي العربي ويسبغ عليه طابعه المميز، ويعطيه شكله الخاص به مما يصعب إيجاد مثيل له في آداب الأمم الأخرى »[2].

ثم إن منهج الجغرافيا الوصفية هذا، كان له ارتباط وثيق بظاهرة الرحلة التي بدأت تنتشر منذ عهد مبكر من العصر الوسيط بين المسلمين، سواء بغرض الحج أو طلب العلم أو التجارة أو الاستكشاف، وذلك بسبب شيوع الأمن والاستقرار في الدولة الإسلامية، مما ساعد على تجمع المعارف الجغرافية[3]، حيث قامت الرحلة بتوجيه الكشف الجغرافي في الاتجاه السليم، وزودته بالمعرفة الجغرافية الطازجة[4].

وهذا معناه أن البلدانيين والجغرافيين المسلمين لم يعتمدوا في كتاباتهم على مجرد النقل وترجمة كتب الجغرافيا القديمة، بل بدأ الاجتهاد الشخصي، بعد أن حققت لهم الرحلة فرصة الدراسة الميدانية في المكان، ومعايشة خصائصه الطبيعية والبشرية [5].

وكانت الطريقة التي اتبعها أكثر البلدانيين العرب والمسلمين هو تقسيم المنطقة المدروسة إلى مناطق أو أقاليم وتحديد موقعها بالنسبة للعالم المعمور ثم ذكر أهم المظاهر التضاريسية في كل إقليم على حدة، ثم التعرض بعد ذلك لدراسة المدن الهامة وأوجه النشاط المختلفة التي يمارسها السكان وحياتهم الاجتماعية، والانتاج النباتي والحيواني والمعدني للإقليم [6].

1: شاكر خصباك، الجغرافية عند العرب، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ت، ص: 44-45.

2: اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، منشورات جامعة الدول العربية، القاهرة، 1963، ص: 18.

3: بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص: 477.

4: صلاح الدين الشامي، الفكر الجغرافي:، سيرة ومسيرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص: 232.

5: نفس المرجع، نفس الصفحة.

6: يسري الجوهري، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2003، ص: 103.

وهنا بدأت تظهر أنواع من الكتب والمصنفات لا شك أنها خصصت في البداية خدمة للأغراض الإدارية، لكن الكم الهائل من المعلومات الذي بدأ يتجمع شيئا فشيئا، والذي كان له ارتباط مباشر بالمعرفة الجغرافية، لا سيما بعد انتشار ظاهرة الرحلة، جعل من هذه المصنفات تتخذ طابعا آخر هو الطابع الجغرافي، أو ما أصبح يعرف لدى المسلمين في المرحلة المبكرة من العصر الوسيط بكتب البلدان والمسالك والممالك.

أما أهداف الجغرافيين البلدانيين، والذين كانت مؤلفاتهم موجهة أساسا لخدمة أغراض الإداريين والحكام والتجار بالدرجة الأولى، وكانت جغرافيتهم جغرافيا نفعية أساسا، فقد كانت تغطي النقاط التالية:

1- وصف المدن وصفا دقيقا مفصلا قدر الإمكان مع نبذة عن تاريخها ومن بناها ومن سكنها وأهم الآثار فيها.

2- دراسة طرق المواصلات من حيث اتجاهاتها وطوبوغرافيتها والمدن التي تقع عليها والأبعاد بين تلك المدن ومدى درجة الأمن فيها.

3- الاهتمام بدرجة أقل بوصف الظواهر الطوبوغرافية والتركيز بصورة أخص على مجاري المياه (الأنهار والوديان) والبحار والبحيرات.

4- الاهتمام بدرجة أقل بذكر الصناعات والزراعات والمعادن والأحوال الاقتصادية.

5- سرد المعلومات التاريخية المتعلقة بالبلدان والمدن وحكامها، وتشمل المعلومات التاريخية عادة الحديث عن سكان البلاد وأديانهم ومذاهبهم وعاداتهم وتقاليدهم [7].

وهكذا تركزت اهتمامات هذه المصادر بطرق المواصلات وبالمدن الرئيسية في أقطار العالمالإسلاميوبمقدارخراجهاوغلاتها،ويتعلقالأمرهنابالكتب الرائدة أمثال "المسالك والممالك" لابن خرداذبة، وينحو نحوه "كتاب البلدان" لليعقوبي مع اهتمام أكبر بالمدن وأبرز معالمها وشيء من تأريخها وسكانها، ثم تنوعت اهتمامات الجغرافيين الوصفيين منذ منتصف القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين بمختلف النقاط المذكورة أعلاه، إضافة إلى الاهتمام بطرق المواصلات والمدن، كالاهتمام بالمعالم الطبيعية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية للسكان، كما يظهر فيما يعرف بكتب الجغرافية الإقليمية وأفضل الأمثلة عليها كتاب المسالك والممالك للاصطخري، وصورة الأرض لابن حوقل، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، والمسالك والممالك للبكري ... [8].

7: شاكر خصباك، المرجع السابق، ص ص: 48-49.

8: نفس المرجع، ص ص: 49-51.

هذا الاهتمام الذي كان مركزا من قبل المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك على أقاليم العالم الإسلامي ومدنه الرئيسية، جعل لبلاد المغرب الإسلامي عامة ومدينة تيهرت باعتبارها أحد مدنه الكبرى حظا في هذه الكتابات، حيث خصت هذه المدينة بمجموعة من النصوص يمكن استغلالها لدراسة تاريخ مدينة تيهرت وضواحيها خلال العصر الوسيط عموما، وخلال القرون الهجرية الأولى على وجه الخصوص .

2- مدينة تيهرت من خلال كتب البلدان والمسالك والممالك:

1.2- الموقع والتسمية:

عدت هذه المدينة من أشهر مدن المغرب الاسلامي عموما وبلاد المغرب الأوسط على وجه الخصوص، وترتبط الأهمية التي اكتسبتها كإحدى أهم المدن المغربية خلال العصر الوسيط، باختيار عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية سنة 160 هـ / 776 م لهذه المدينة كعاصمة لدولته، ولكنها اكتسبت هذه الأهمية كذلك بأهمية موقعها الجغرافي والطبيعي الذي ساعدها على تبوأ هذه المكانة، حتى في الفترات التي أعقبت سقوط الدولة الرستمية.

ولعل أقدم إشارة عن موقع مدينة تيهرت نجدها لدى اليعقوبي في قوله: «تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية ليس لها فضاء، بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات في مستوى من الأرض »[9].

وهو ما يتوافق مع ما نجده من نصوص في معظم الكتب محل الدراسة التي تربط موقع مدينة تيهرت على جبل جزول، حيث يواصل اليعقوبي قائلا: « ... وهو جبل متصل بالسوس يسميه أهل السوس درن، ويسمى بتاهرتجَزُّول ويسمى بالزاب الأوراس »[10]، والذي يصفه ابن حوقل بأنه جبل ليس بالعالي [11]، وهو نفس الوصف الذي نجده فيما

9: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص: 197.

10: نفس المصدر، ص: 198.

11: ابن حوقل أبو القاسم، كتاب صورة الأرض، ط 02، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: 86.

يعرف بالكتاب العزيزي الذي وصفه بالجبل المتوسط [12]، ويوضح البكري بأن المدينة تقع في سفح هذا الجبل [13].

من جهة ثانية ارتبط موقع مدينة تيهرت في هذه الكتابات بوفرة المياه وتنوع مصادرها، حيث يصفها الاصطخري بأنها مدينة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه [14]، ويحدد اليعقوبي مصادر تلك المياه بدقة موضحا بأن شرب أهلها من أنهار وعيون يأتي بعضها من الصحراء وبعضها الآخر من جبل جزول[15] السابق الذكر.

كما يذكر المقدسي بأنها على واد عظيم ذات أعين وبساتين [16]، وهو ما يؤكده البكري فيقوله:« وهيعلىنهريأتيهامن جهة القبلة يسمى: مينة، وهو في قبليها، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى: تاتُش، ومن تاتش شرب أهلها وبساتينها، وهو في شرقيها»[17] ، ولعل كثرة وتنوع مصادر المياه ما جعل ابن حوقل يشير إلى أنها تصل إلى المنازل والدور قائلا: « ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم »[18].

هنا يمكن القول بأن موقع مدينة تيهرت الحصين بين الجبال وتوفر مصادر المياه، قد أهلها لأن تكون مدينة استراتيجية وصلت إلى مصاف العواصم الإسلامية باختيار الرستميين لها كعاصمة لدولتهم الناشئة، ثم إن موقعها هذا يوافق الشروط التي وضعها ابن خلدون في مقدمته في الفصل الخامس من الباب الرابع من الكتاب الأول، فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن، فيقول: « ... وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أو نهر بها، ... وأما جلب المنافع والمرافق

12: المهلبي الحسن بن أحمد، المسالك والممالك أو الكتاب العزيزي، جمعه وعلق عليه: تيسير خلف، ط01، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص: 48.

13: البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص: 66.

14:الاصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: 39.

15: اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص: 197-198

16: المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 02، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: 229.

17: البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، مج 02، ط 01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص: 248.

18: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 86.

للبلد فيراعى فيه أمور: منها الماء، بأن يكون البلد على نهر، أو بإزائها عيون عذبة ثرة، فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة »[19].

والواقع أن اختيار موقع تيهرت جاء وليدا للظروف التي واجهت الدولة الرستمية في مطلع تأسيسها، فكان لموقعها مميزات ذات كفاءة عالية فهو بعيد عن خطر العباسيين، حيث تقع في منطقة داخلية منطوية على نفسها في السفح الجنوبي لجبل جزول، لذا فهي تدير ظهرها للبحر، وتوجه أنظارها نحو الداخل وهذا يمثل موقعا استراتيجيا لحماية دولة ناشئة يحيط بها الأعداء من كل جانب [20].

وهو ما يؤكده عبد الرحمن الجيلالي في قوله: « ولقد نجحت هذه الدولة في تأسيس مركزها هذا فوفقت فيه غاية التوفيق فإن قرب تيهرت من الصحراء يمنعها من الوقوع في يد العدو في أيام الحرب، كما أن موقعها هذا بين جبال الأطلس إلى بلاد التل الخصيبة جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع، فلا هي متطرفة جنوبا ولا شمالا، ثم إنها كانت حسب موقعها الجغرافي أيضا متوسطة بين ولاية تونس والمغرب الأقصى »[21].

يضاف إلى ذلك أن موقع تيهرت يعتبر امتدادا لبلاد الزاب وهو ما يتيح لمؤسس الدولة عبد الرحمن بن رستم سرعة الاتصال بالجماعات الإباضية في أقاليم المغرب الشرقية في طرابلس ونفزاوة وبلاد الجريد، وهذا الاتصال يساعد من جهة أخرى في اتساع نطاق الدولة دون وجود عوائق طبيعية تمنع ذلك الاتساع [22].

أما عن تسمية المدينة، فنجد نص وحيد عند البكري الذي يسميها بتاقدمت، من خلال الوصف الذي قدمه لموضع مدينة تيهرت، قائلا: « ... وهو غيضة أشبة، ونزل عبد

19: ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص ص: 330-331.

20: محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160 هـ/ 296 هـ)، ط03، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص: 95.

21: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 01، ط 02، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص: 220.

22: محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 96.

الرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقال البربر: نزل تاقدمت، تفسيره: الدف، وشبهوه بالدف لتربيعه »[23].

كما يسميها كذلك بالمعسكر فيقول: « وكان موضع تيهرت مِلْكُها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة، فأرادهم عبد الرحمن على البيع فأبوا، فوافقهم على أن يؤدوا إليهم الخراج من الأسواق، ويبيحوا لهم بنيان المساكن، فاختطوا وبنوا، وسمي الموضع: معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم »[24].

2.2- تأسيس الدولة الرستمية بتيهرت:

وإذا أردنا الحديث عن الأحوال السياسية التي عرفتها مدينة تيهرت وذلك منذ تأسيس الدولة الرستمية بها، فإن معظم النصوص المستخرجة من المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك تتفق على أن مؤسس الدولة عبد الرحمن بن رستم وخلفائه هم من أصول فارسية، حيث يقول ابن خرداذبة في هذا الصدد: « وفي يدي الرستمي الإباضي وهو ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وهو من الفرس ويسلم عليه بالخلافة بتاهرت وما والاها »[25].

كما يشير اليعقوبي إلى أن مدينة تاهرت قد تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي [26]، إلا أن البكري يعد الوحيد الذي يعود بأصول حكام الدولة الرستمية إلى ملوك الفرس حيث يفصل في نسبه قائلا: « وكان صاحب تيهرت: ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم ين بهرام، وبهرام هذا مولى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وهو بهرام بن ذو شرار بن سابور بن بايكان بن سابور ذي الأكتاف: الملك الفارسي »[27].

أما عن ظروف تأسيس هذه الدولة ببلاد المغرب الأوسط، فيسعفنا البكري دائما بنص تاريخي نقلا عن الوراق فيقول: « أن عبد الرحمن بن رستم كان خليفة لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة أيام تغلبه على افريقية، فلما قتل محمد ابن

23: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص ص: 249-250.

24: نفس المصدر، ص: 250.

25: ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1988، ص: 81.

26: اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 192.

27: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص: 249، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، مج 02، دار صادر، بيروت، 1977، ص: 08.

الأشعث الخزاعي أبا الخطاب، وذلك في صفر سنة أربع وأربعين ومائة، هرب عبد الرحمن بأهله وما خف من ماله وترك القيروان، فاجتمعت إليه الإباضية، واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تيهرت اليوم »[28].

ولمعرفة الامتداد الجغرافي والسياسي للدولة الرستمية نجد بالمصادر محل الدراسة بعض الإشارات التي توضح المناطق التي سيطر عليها الرستميون، وإن كان التحديد الذي وضعته نصوصها لا يكف لاستبيان حدودها السياسية بشكل دقيق،

حيث تكتف المصادر البلدانية المبكرة والقريبة نوعا ما من الفترة التي حكمت فيها الدولة الرستمية بلاد المغرب الأوسط، بالتأكيد على أن الرستميين كان يسلم عليهم بالخلافة بتاهرت وما والاها، من ذلك قول ابن الفقيه: « ... وفي يدي الرستمي الإباضي، وهو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم من الفرس يسلم عليه بالخلافة بقيروة وسلمة وسلمية وتاهرت وما والاها »[29].

في حين يشير المقدسي إلى أن مدينة تيهرت هي عاصمة الإقليم الدي تنتمي إليه مجموعة من المدن، يذكرها على الشكل التالي: يمّمة تاغليسية، قلعة ابن الهرب، هزارة، الجعبة، غدير الدروع، لماية، منداس، سوق ابن حبلة، مطماطة، جبل تجان، وهران، شلف، طير، الغزة، سوق ابراهيم، وهباية، البطحة، الزيتونة، تمما، يعود، الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحريّة، سوق كرى، منْجصة، أوزكى، تبرين، سوق ابن مبلول ربا تاويلت، أبي مغول، تامزيت، تاويلت اخرى لغوا، وفكان [30].

تشير كذلك معظم المصادر البلدانية عند حديثها عن إقليم المغرب إلى وجود ثلاث دول رئيسية تحكم المنطقة هي دولة الأغالبة بافريقية، والدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، وإن لم تكن هذه التقسيمات معروفة بهذا الشكل في تلك الفترة من القرون الأولى من العصر الوسيط، إلا أن اليعقوبي ينفرد بنص يذكر فيه كيانات سياسية أخرى كانت قائمة على حدود الدولة الرستمية، ومن أهمها الإمارات العلوية ومملكة ابن مسالة الهواري الإباضي، حيث يفصل في ذلك قائلا: « ومن مدينة تاهرت وما يحوز عمل ابن أفلح الرستمي رجل من هوارة يقال له ابن مسالة الإباضي إلا أنه مخالف لابن أفلح يحاربه ومدينته التي يسكنها يقال لها الجبل منها إلى مدينة يقال

28: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص: 249.

29: ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1885، ص: 79.

30: المقدسي، المصدر السابق، ص ص: 218-219.

لها يلل تقرب من البحر المالح مسيرة نصف يوم، ... ثم من مملكة ابن مسالة الهواري إلى مملكة لبني سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن »[31].

والحقيقة أن الدولة الرستمية لم تعرف لها حدود ثابتة ظاهرة المعالم، إذ أن فكرة الحدود بمعناها الحالي لم تكن معروفة في تلك العصور، فوضع حدود لهذه الدولة إنما يكون من باب التقريب حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي سيطرت عليها،

فالمملكة الرستمية واقعة إذن بين مملكة الأغالبة شرقا والأدارسة غربا، وتمتد شمالها مملك صغيرة للعلويين أبناء عمومة الأدارسة، وينفسح لها المجال جنوبا إلى ورقلة، ويمتد منها شريط على وادي ريغ إلى الجريد، وجبال دمر إلى طرابلس، وجبال نفوسة [32].

وما يؤكد على وصول السلطة الرستمية إلى جبل نفوسة هو ما قاله اليعقوبي عند حديثه عن طرابلس وجبل نفوسة: « ... ومن أطرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم، لهم رئيس يقال له ألياس لا يخرجون عن أمره، ومنازلهم في جبال أطرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا إلى سلطان ولا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتاهرت وهو رئيس الإباضية يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم فارسي »[33].

وما عدا هذه المعلومات التي تتعلق بتأسيس الدولة الرستمية والإشارات إلى أسماء خلفائها من بني رستم وحدودها السياسية التقريبية لا نجد بكتب البلدان والمسالك والممالك أي تفاصيل أخرى عن التطور السياسي الدي عرفته المملكة الرستمية من تأسيسها سنة 160 هـ/ 776 م إلى سقوطها على يد الفاطميين سنة 296 هـ/ 909 م، ما عدا النص الموجود لدى البكري الذي يتحدث فيه عن نهاية حكم الرستميين بتيهرت خصوصا وبلاد المغرب الأوسط على وجه العموم، وفي ذلك يقول: « وتعاقب مملكة تيهرت بنو ميمون وبنو أخويه عبد الرحمن وإسماعيل بن الرستمية إلى سنة ست وتسعين ومائتين، فوصل أبو عبد الله الشيعي إلى مدينة تيهرت فدخلها بالأمان، ثم قتل فيها من الرستمية

31: اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص: 195-196.

32: فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3 هـ/ 8-9 م)، مذكرة ماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، 2009-2010، ص: 61.

33: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، كتاب البلدان، د.م، د.ت، ص: 105.

عددا كثيرا، وبعث برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس، وطيف بها بالقيروان ونصبت على باب رقادة، وملك بنو رستم تيهرت مائة وثلاثين سنة »[34].

وهو ما يؤكده أبو الفدا في قوله: « وهي كانت قاعدة الغرب الأوسط وكان بها مقام بني رستم كلو الغرب الأوسط، حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين الذين صاروا ملوك مصر »[35].

من جهة ثانية نجد وصفا لدى ابن حوقل، يوضح فيه الوضعية التي أصبحت عليها المدينة خلال الحكم الزيري الصنهاجي لبلاد المغرب، فيقول: « وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط وكثرة القتل والموت، وكذلك كتامة في حالها من جهة خليفة أهل المغرب بالمغرب، وهو بلكين يوسف بن زيري، وقد استباح الجميع »[36].

3.2-النشاط الاقتصادي:

أجمعت المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك على التطور الاقتصادي الذي عرفته مدينة تيهرت وضواحيها، وذلك من خلال الأوصاف التي قدمتها لهذه المدينة وأشادت بغناها من الناحية الزراعية خصوصا، ولعل ذلك يرتبط بما تمت الإشارة إليه سابقا من تنوع مصادر المياه بها، ولعل الوصف الذي قدمه المقدسي لها يلخص الوضع الاقتصادي الجيد الذي عرفته المدينة في تلك الفترة، فيقول: « هي بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجلّ بها الإقليم، وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب ... »[37].

وهنا يجب التأكيد مرة أخرى على أن موقع مدينة تيهرت الطبيعي والأنهار المحيطة بها مثل وادي مينا ونهر شلف وكثرة العيون والآبار ، قد ساهم بطريقة مباشرة في كثرة المحاصيل الزراعية وتنوعها، فنص اليعقوبي السالف الذكر والذي يؤكد على وقوع المدينة بين الجبال والأودية، نجد به إشارة مهمة على أن "زرع هذا البلد لم يجدب قط إلا أن يصيبه ريح أو برد" [38]، وهو ما يؤكد على أن مصادر المياه المتنوعة كان لها دور كبير في

34: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص: 249.

35: أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: 139.

36: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 96.

37: المقدسي، المصدر السابق، ص: 228.

38: اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 198.

الازدهار الذي عرفته تيهرت ولا سيما فيما تعلق بمنتوجاتها الفلاحية، وفي ذلك يقول عن نهر شلف: « ... ووادي يقال له وادي شلف، وعليه قرى وعمارة، يفيض كما يفيض نيل مصر، يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم وغير ذلك من الحبوب »[39].

يظهر من هذا النص أن الحبوب شكلت أهم المحاصيل الزراعية للدولة الرستمية ، حتى أن البكري عند إشارته إلى أبواب مدينة تيهرت يشير إلى تسمية لأحد أبوابها المعروف بباب المطاحن، ولا شك أن هذه التسمية مرتبطة بالجهة المخصصة لطحن الحبوب، وهو دليل آخر على وفرة الأنتاج الفلاحي ولا سيما محصول الحبوب.

من جهة ثانية سيساهم مناخ المدينة في حفظ هذا الإنتاج من الفساد، فهي معروفة بشدة البرودة، وهي من الشروط الواجب توفرها في حفظ المحاصيل الزراعية وخاصة الحبوب، وعن انخفاض درجة الحرارة وكثرة البرودة بتيهرت، يقول بكر بن حماد في أبيات شعرية:

ما أخشن البـرد وربعـانـه وأطـرف الشمس بتيهـرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كـأنـهـا تنـشـر مـن تخـت

فنحن فـي بحـر بـلا لجـة تجري بنا الريح على السمت

نفـرح بالشمس إذا ما بدت كـفـرحـة الذمي بـالسبـت [40]

وإلى جانب إنتاج الحبوب، عرفت المدينة بإنتاجها الوفير من مختلف الغلات والثمار، وخاصة السفرجل الذي أشار إليه معظم الجغرافيين والرحالة الذين زاروا المنطقة أو كتبوا عنها، وفي هذا يقول البكري: « وفيها جميع الثمار، سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما وشما وسفرجلها يسمى الفارس »[41].

وارتباطا بهذا الجانب، كان لمدينة تيهرت وما والاها مراعي واسعة، حيث تجمع المصادر محل الدراسة أن المدينة كانت تمتلك ثروة حيوانية كبيرة، إذ يصفها ابن حوقل

39: نفس المصدر، ص: 197.

40: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص: 248.

41: نفس المصدر، نفس الصفحة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 02، ص: 08، القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص: 169.

بأنها أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية، كما أكد على كثرة العسل والسمن عندهم [42] ، وهي من المنتجات الفلاحية المرتبطة بالإنتاج الحيواني.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الوفرة التي عرفتها المدينة وضواحيها، فيما يخص الانتاج الفلاحي والحيواني جعل من المكاييل التي يكتالون بها تختلف عما كان موجودا في مناطق أخرى من بلاد المغرب والأندلس، وفي هذا يقول البكري: « ومدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية، وقنطار الزيت وغيره عندهم: قنطاران غير ثلث إلا المجلوب من الفلفل وغيره، فإنه قنطار عِدْلٍ، ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال »[43].

ولا شك أن الثروة الاقتصادية التي تمتعت بها تيهرت سيكون لها تأثيرها الإيجابي على النشاط التجاري للمدينة، هذا إضافة إلى موقعها الاستراتيجي المهم على أشهر طرق التجارة الداخلية لبلاد المغرب الاسلامي، وهو الأمر الذي فصلت فيه كتب المسالك والممالك برسمها لشبكة من الطرق الداخلية لهذه البلاد، والتي شكلت فيها مدينة تيهرت أحد أهم محطاتها التجارية التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتجاوزها، فموقع المدينة الذي يتوسط التل والصحراء من جهة، ويربط افريقية والمغرب الأقصى من جهة ثانية جعل منها مركزا تجاريا يلتقي فيه التجار من كل مكان.

وهكذا أهلها موقعها الاستراتيجي لأن تقع على طريقين تجاريين مشهورين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، طريق شرق غرب، الطريق الشرقي نحو القيروان مرورا بالزاب، والطريق الغربي الذي يربط تيهرت بفاس، وطريق شمال جنوب يربط أحدهما تيهرت بسجلماسة وأخر يربطها ببلاد السودان عبر ثلاث مسالك [44].

يمكن هنا الإشارة إلى بعض الطرق الداخلية الرئيسية التي كانت تربط مدينة تيهرت بمدن وعواصم بلاد المغرب، ومنها على وجه الخصوص القيروان وفاس، حيث يفصل ابن حوقل في محطاته ومراحله خلال وصفه للطريق من افريقية إلى تاهرت وفاس، قائلا: «فمن القيروان إلى الجهنيين قرية مرحلة، ومنها إلى سبيبة مرحلة ومنها إلى مرماجنة قرية مرحلة، ... ومنها إلى مجانة مرحلة، ... ومنها إلى مسكيانة ... ومنها إلى مدينة باغاي ... ومن باغاي إلى دوفانة قرية من جبل أوراس مرحلة، ومنها إلى دار ملول مرحلة، ومنها إلى

42: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 86.

43: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص: 250.

44: صلاح الدين حميدي، وهراني قدور، «موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي»، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا**، جامعة ابن خلدون – تيارت، المجلد 01، العدد 01، جانفي 2018، ص: 97.

طبنة مرحلة، ... ومن طبنة إلى مقره مرحلة، ومن مقره إلى المسيلة مرحلة ... ومنها إلى جوزا مرحلة، ومن جوزا إلى هاز مرحلة، ومنها إلى جرتيل مرحلة، ومنها إلى ابن ماما مدينة صغيرة ... مرحلة، ومنها إلى أغير قرية صغيرة مرحلة، ومنها إلى تاهرت مرحلة »[45].

ويلخص ابن خرداذبة مراحل هذا الطريق فيقول أن بين افريقية وتاهرت مسيرة شهر على الإبل [46]، أما الاصطخري فيضعها في ستة وثلاثون مرحلة عند ذكره للمسافات بالمغرب، حيث يحدد المسافة من القيروان إلى سطيف بـ 16 مرحلة ومن سطيف إلى تاهرت بـ 20 مرحلة، ومن تاهرت إلى فاس بـ 50 مرحلة [47]، ويشير ابن حوقل هو الآخر إلى المدن والقرى التي تفصل الطريق من فاس إلى تيهرت على التوالي: قرية العلويين، تلمسان، قرية العلويين، قرية تاتانلوت، عيون سى، افكان [48].

كما نجد نصا آخر لدى المقدسي يوضح فيه المسافات والمراحل التي ربطت مدينة تيهرت بأهم مدن المغرب فيقول:« ... وتأخذ من القيروان سبع مراحل إلى قفصة ثم إلى قسطيلية ثلاث مراحل ثم إلى تاهرت خمسة عشر يوما في رمال وقرى ثم تقع في البربر ثلاثة أيام إلى فاس ... وإن شئت فخذ من القيروان إلى سطيف عشر مراحل ثم إلى تاهرت عشرون ثم إلى فاس خمسون ثم إلى السوس الأقصى ثلاثون، وتأخذ من القيروان إلى تونس ثلاث مراحل ثم إلى تنس ست مراحل ثم إلى جزيرة بني زغناي خمسة مراحل...»[49].

يظهر هنا أن الطريق الأخير المذكور في هذا النص يمثل الطريق الساحلي الذي استخدمته القوافل التجارية التي ربطت تجارة القيروان بتجارة تيهرت عبر الساحل، والمعروف من خلال كتب المسالك والممالك ارتباط المدينة بمجموعة من المدن الساحلية، مثل وهران، تنس، مرسى الدجاج، وغيرها، وهنا يعد البكري هو الآخر مصدرا مهما يعول عليه في رسم شبكة الطرق التي ربطت مدينة تيهرت بمختلف مدن وأقاليم المغرب الإسلامي سواء الداخلية منها أو الساحلية، وهو في ذلك يورد نصا يوضح فيه مراحل الطريق من تيهرت إلى البحر، فيقول: « وإن أردت الطريق من تيهرت إلى البحر، فإنك تمر بين قبائل البربر حتى تأتي شلف بني واطيل، ومن هناك إلى الغزة يومان، والغزة: ساحل تيهرت، وبقرب هذا الموضع على البحر قلعة مغيلة دلول ... وبين قلعة

45: ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص: 84-86.
46: ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص: 81، ابن الفقيه، المصدر السابق، ص: 79.
47: الاصطخري، المصدر السابق، ص: 46.
48: ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص: 88-89.
49: المقدسي، المصدر السابق، ص: 246.

دلول ومستغانم مسيرة يومين، وهي على مقربة من البحر ... »[50]، وهو ما يؤكده أبو الفدا في قوله: « ... ولها من أعمالها مرسى على البحر يقال له مرسى فروخ »[51].

والأكيد أن موقع تيهرت قد سمح لها أن تكون حلقة وصل بين تجارة الشمال والجنوب، أي الربط بين التجارة البحرية والصحراوية، ولعل أهم مناطق البحر المتوسط التي ارتبطت بها من الناحية التجارية هي بلاد الأندلس، خصوصا إذا عرفنا أن حكام الدولة الرستميةبتيهرت كانوا على علاقات وطيدة بأمراء الدولة الأموية بالأندلس، وبالتالي نشطت حركة السفن بين الموانئ المغربية والأندلسية، وخصوصا بين موانئ تنس، مستغانم ووهران، وما يقابلها من موانئ وسواحل الأندلس مثل المرية، مالقة، تدمير، لقنت وغيرها، وهذا لقرب المسافة بينهما.

وهومايوضحهاالإصطخريفيكتابه، فعن قرب المسافة بين مدينة وهران والساحل الأندلسييقولعن هذه المدينة: «بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة»[52]. كما أفرد البكري قسما خاصا للحديث عن أهم مراسي بلاد المغرب وما يقابلها من مراسي الأندلس، موضحا مدى قرب هذه المراسي من المدن والموانئ الأندلسية، حيث يشير مثلا إلىأنمرسىمدينةأرشقوليقابلهمنبرالأندلسقابطةبنىأسود، وبينهمامجريان، ومرسى وهران يقابله مرسى مدينة بجانة وبينهما مجريان ونصف، ومرسى مدينة تنس الذي يقابله من بر الأندلس مرسى شنتبول، ومرسى جزائر بني مزغنى الذي تفصله ست مجار عن مرسىبنىشكلهمنبرالأندلس، أمامرسىالدجاجفتقابلهمنجزائرالأندلسجزيرةميورقة[53]، وهو ما يؤكد عمق التبادل التجاري البحري بين المغرب الأوسط والأندلس.

4.2-المظاهر العمرانية:

يبدو أن الرخاء الاقتصادي الذي عرفته مدينة تيهرت كان له تأثير واضح على الجانب العمراني بها، حيث نجد بالمصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك نصوص توضح ما كانت تحويه هذه المدينة من مختلف أنواع العمارة، ولعل معظم النصوص تركز على العمارة الدينية والمدنية.

من ذلك قول المقدسي: « هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيب رشيق الأسواق ... قديم الوضع، محكم الرصف عجيب الوصف ... بها جامعان على ثلثي البلد قد بنيا

50: البكري، المسالك والممالك، مج 02، ص: 253.
51: أبو الفدا، المصدر السابق، ص: 124، اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 192.
52:الاصطخري، المصدر السابق، ص229.
53: البكري، المسالك والممالك، ص ص: 267– 268.

بالحجارة والجيل قريبان من الأسواق، ومن دروبها المعروفة أربعة باب مجانة، درب المعصومة، درب حارة القفير، درب البساتين »[54]، وهو في نصه هذا يجمع بين مختلف معالم المدينة من مساجد، دروب، أسواق وغيرها.

فعن العمارة الدينية، تكاد تنحصر في المسجد، حيث اقترن بناء وتخطيط المدينة على عهد عبد الرحم بن رستم ببناء مسجدها الذي يقول عنه البكري: « وابتدأوا من تلك الساعة فبنوا في ذلك الموضع مسجدا، وقطعوا خشبه من تلك الشعراء، فهو كذلك إلى اليوم، وهو مسجد جامعها، وهو من أربع بلاطات »[55].

وعن العمارة المدنية يشير ابن حوقل إلى كثرة الدور بمدينة تيهرت، إضافة إلى وجود عدد من الحمامات [56] والخانات [57]، ولعل وجود الخانات بالمدينة ما هو إلا دليل على ما تمت الإشارة إليه سابقا من غنى تيهرت من الناحية الاقتصادية ولا سيما التجارية باعتبار أنها شكلت أحد أهم مراكز التجارة الداخلية والخارجية لبلاد المغرب الإسلامي، وهو ما جعلها قبلة للتجار من مختلف المناطق والبلدان، حيث خصصت لهم أماكن للإيواء وتخزين البضائع، تعرف في بلاد المغرب بالفنادق وفي المشرق بالخان.

نجد هنا نص آخر يؤكد بأن المدينة قد استقطبت إليها الناس من مختلف الفئات وخاصة التجار منهم، وذلك في قول اليعقوبي: « والمدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر، تسمى "عراق المغرب" لها أخلاط من الناس »[58]، وهذا التشبيه ما هو إلا دليل على الصفة المشتركة بين البلدين في كثرة الأجناس بهما، وهو أمر مرتبط بالتجارة على وجع الخصوص.

ومن أنواع العمارة المدنية كذلك نجد الأبواب، حيث يذكر البكري بأن للمدينة أربعة أبواب، هي: باب الصفا، باب المنازل، باب الأندلس، وباب المطاحن [59].

هذه هي أهم المظاهر العمرانية التي أدرجتها المصادر محل الدراسة لمدينة تيهرت، حيث أكدت النصوص التي لها ارتباط بهذا الجانب على الأهمية والمكانة التي عرفتها هذه

54: المقدسي، المصدر السابق، ص ص: 228-229.
55: البكري، المسالك والممالك، ص: 250.
56: نفس الأمر يشير إليه البكري، ويقدرها باثني عشر حماما، نفسه، نفس الصفحة.
57: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 86.
58: اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 192.
59: البكري، المسالك والممالك، ص: 248.

المدينة خلال القرون الأولى من العصر الوسيط، وذلك لما حوته من هياكل ومباني دينية ومدنية وحتى اقتصادية.

الخاتمة: إن استخراج ودراسة النصوص التاريخية التي تحويها المصادر البلدانية وكتب المسالك والممالك حول تاريخ مدينة تيهرت خلال الفترة الوسيطية عموما، وخلال الفترة التي كانت فيها هذه المدينة عاصمة للدولة الرستمية على وجه الخصوص، يقودنا إلى القول بأن تيهرت قد شكلت خلال هذه الفترة أحد أهم عواصم بلاد المغرب الإسلامي، حيث قدمت هذه المصادر أوصافا ونصوصا مست جوانب مختلفة من حياة المدينة، مع التركيز على الجوانب الطبيعية والجغرافية والاقتصادية والعمرانية.

والمعروف أن الدراسات المتعلقة بالتاريخ الحضاري لمدن المغرب الإسلامي عموما، ومدن وحواضر بلاد المغرب الأوسط على وجه التحديد لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء سواء فيما تعلق بالتاريخ الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي إضافة إلى المظاهر العمرانية، أين وجب على الباحثين والمختصين في الدراسات التاريخية استغلال الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأثرية في هذا الجانب، وهذا بغرض المساهمة الفعالة في كتابة تاريخنا المحلي ليس فقط بالاعتماد على النصوص المصدرية ولكن باستغلال نتائج الأبحاث الأثرية المرتكزة على المصادر المادية.

قائمة المصادر والمراجع:

- الإصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، بيروت، لبنان: دار صادر، د.ت.

- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط01، 2003.

- البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، القاهرة، مصر:دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

- التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بيروت، لبنان: دار المدار الإسلامي، ط1، 2003.

- الجوهري يسري، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، الاسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2003،

- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة، ط 02، 1965.

- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160 هـ/ 296 هـ)، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط03، 1987.

- الحموي ياقوت شهـاب الديـن أبو عبد الله ياقـوت بن عبد الله، معجم البلـدان، بيروت، لبنان: دار صادر، 1977.

- حميدي صلاح الدين، قدور وهراني:" موقع تيهرت بين الطرق التجارية بالغرب الإسلامي"، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا**، جامعة ابن خلدون - تيارت، الجزائر، المجلد 01، العدد 01، جانفي 2018، ص ص: 94-106.

- ابن حوقل أبو القاسم، كتاب صورة الأرض، بيروت، لبنان: دار صادر، ط02، د.ت.

- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988.

- خصباك شاكر، الجغرافية عند العرب، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، د.ت.

- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

- الشاميصلاحالدين، الفكرالجغرافي: سيرةومسيرة، الإسكندرية:منشأةالمعارف، 1999- أبو الفدا عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، بيروت، لبنان: دار صادر، د.ت.

- ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ليدن: مطبعة بريل، 1885.

- القزويني زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، لبنان: دار بيروت للطباعة والنشر، 1984.

- كراتشوفسكي اغناطيـوس يوليـانوفتش، تاريـخ الأدب الجغرافـي العربـي، ترجمـة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، مصر: منشورات جامعة الدول العربية، 1963.

- مطهري فطيمة، مدينة تيهرتالرستمية دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3 هـ/ 8-9 م)، مذكرة ماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي، الجزائر: كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، 2009-2010.

- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، لبنان: دار صادر، ط 02، د.ت.

- المهلبي الحسن بن أحمد، المسالك والممالك أو الكتاب العزيزي، جمعه وعلق عليه: تيسير خلف، دمشق: دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2006.

- وهيبه عبد الفتاح محمد، مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية، بيروت، لبنان: دار الأحد، 1979.

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 2002.

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، كتاب البلدان، د.م، د.ت.